جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

**مقياس: مصادر تاريخ الغرب الإسلامي**

**إعداد الأستاذ: لخضر بولطيف**

**مستوى: السنة الأولى ماستر – تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي**

**الموسم الجامعي: 2021/2020**

# المحاضرة (01): مقدمات أساسية

## مدخل:

يُعد تخصص "تاريخ الغرب الإسلامي" من تخصصات التاريخ القليلة التي تؤهّل صاحبها لأن يكون باحثا، فإنه لما كان من شرط البحث أن يتعاطى الطالب مع المصادر، ولما كان ذلك رهينا بمدى تحكّم الطالب في لغة المصادر، ولما كانت لغة مصادر هذا التخصص الرئيسة هي اللغة العربية بامتياز، فإن المنتسب إلى هذا التخصص لن يجد صعوبة كبيرة في التعاطي مع مصادر تخصصه، خلافا لما هو حاصل في تخصصات أخرى، حيث يجد الطالب نفسه بإزاء مصادر محررة بلغات أجنبية قديمة كالهيروغليفية أو اليونانية أو اللاتينية بالنسبة لتخصص التاريخ القديم، أو محررة بلغات أجنبية حديثة كالإنجليزية والإيطالية والفرنسية بالنسبة لتخصص التاريخ المعاصر، مما يجعل الانتساب إلى تخصص "تاريخ الغرب الإسلامي" فرصة ثمينة، قلما يدرك الطلاب أهميتها، وقد ضلّلهم وهْمُ الصعوبة التي يخالونها في التعامل مع مصادر التخصص، غافلين على أن نظراءهم في التخصصات الأخرى لا يتعاطون في الغالب مع مصادر تخصصاتهم، لعدم تحكمهم في لغاتها، ما يجعلهم في أبحاثهم عالة على مراجع ثانوية، لا تؤهلهم البتة لأن ينتقلوا من كونهم دارسين إلى كونهم باحثين، وهل الالتحاق بصف الماستر سوى انتقال من حد الدرس وتحصيل المعلومات، إلى حد البحث والحفر عن الحقائق.

## حدود التخصص:

يشمل تاريخ الغرب الإسلامي (تاريخ المغرب والأندلس) حقبة زمنية تمتد على مدار عشرة قرون من مستهل القرن الأول الهجري، وهو ما يواكب لحظة الفتح الإسلامي، إلى أواخر القرن العاشر الهجري، الذي شهد سقوط الدول الثلاث: الوطاسية والزيانية والحفصية.

**تعريف المصدر:**

المَصْدَرُ -في اللغة- من صَدَرَ يَصْدُرُ صُدُورًا، وصَدْرُ الشيء أعْلاه ومُقَدَّمُه وأَوَّلُه. والمَصْدَرُ أصلُ الكلمةِ التي تَصْدُرُ عنها صَوادِرُ الأفعال.

والمصدر -في الاصطلاح- هو كل أثر أو مستند أو وثيقة يُخبر أو يَدُل أو يَنُمُّ -أوّلا وسابقا لغيره- عن فحوى حدث وقع في المكان والزمان.

**الفرق بين المصدروالمرجع:**

على أن المصدر والمرجع من الناحية اللغوية متقاربان في المعنى؛ فإننا نقول: صدر عن الشيء أي رجع عنه، لكنهما -اصطلاحا- يفترقان، ودونما حاجة إلى استعراض عشرات التعريفات التي لا تزيد الأمر سوى غموض والتباس على الطالب، فإننا ننوّه إلى ضرورة استمداد الإفادات الخبرية من المصادر، بينما يُستأنس بالمراجع فيما أدلت به من أنظار (العمليات العقلية: من إيضاح وبيان، ونقد وتمحيص، وتحليل وتعليل، وتخريج واستنباط، ودحض وتأييد،...)، وهو ما ينطبق إجمالا على الدراسات الحديثة، أو بعبارة أخرى فإن المصادر تكون أقرب إلى زمن الحدث منها إلى زمن الباحث، بينما المراجع -بخلاف ذلك- تكون أقرب إلى زمن الباحث منها إلى زمن الحدث، وفي عبارة واحدة جامعة مختصرة، نقول: المصادر أخبار، والمراجع أنظار.

**أنواع المصادر:**

تتنوّع المصادر بتنوّع المعايير التي نعتمدها في التصنيف، وعليه يمكننا التمييز بين أصناف متعددة من المصادر ذات الصلة بتاريخ الغرب الإسلامي:

**1- من حيث طبيعتها:**

يمكننا التمييز بين نوعين: مادية ولا مادية

أ. **مصادر مادية:** وتشمل جميع المخلفات الحسيّة على تفاريقها، العائدة إلى الحضارات المتعاقبة على المنطقة؛ سواء كانت ثابتة كالمنشآت العمرانية من مساكن وقصور، وقلاع وحصون، ومساجد ومدارس، وما يتصل بذلك من كتابات ونقوش وزخارف... أو كانت منقولة على غرار النميات والنقود والمسكوكات، والحلي وأدوات الزينة، والألبسة والمنسوجات، والأواني الفخارية، والآلات الفلكية والجراحية...

ب. **مصادر لا مادية:** وهي تصدُق على جميع الممارسات والتصورات والمعارف والمهارات، ومختلف أشكال التعبير، المتأتيّة إلينا عن أسلافنا في الأعصر الخوالي، كالقصص والخرافات والأساطير

الشعبية، والعادات والتقاليد والطقوس المتأصّلة في الأعياد والمناسبات، والرقص والموسيقى والأغاني وسائر الفنون التراثية الرائجة في الأفراح والحفلات، فضلا عن الروايات الشفوية المتداولة التي تمثل المورد الأساس للذاكرة الجمعية.

**2- من حيث كونها متاحة للباحثين:**

يمكننا التمييز بين نوعين: موجودة ومفقودة

أ. **مصادر موجودة:** وتستغرق جميع الآثار والمستندات والوثائق المصدرية المتاحة لجمهور الباحثين أو لبعضهم؛ سواء في صورتها الأصلية أو في صورة بديلة كالمستنسخات والمصورات الورقية والرقمية. وعلى ذلك فإن وصفها بالموجودة ليس مقتصرا على ما في ملكية الباحث الخاصة، بل يتعدى إلى كل ما يمكن اقتناؤه أو استعارته أو تحصيله عبر وسائط الاتصال الحديثة، مما له صلة بشبكة الأنترنت.

ب. **مصادر مفقودة:** وتنصرف إلى جميع الآثار والمستندات والوثائق المصدرية الضائعة، مما جنت عليه عوادي الزمان، من عوامل طبيعية أو تعديات بشرية، والتي يتعذر التوصّل بها، عدا نزر يسير أو مقاطع محدودة منها تكون قد بلغتنا من خلال ناقلين عنها. ويندرج أيضا ضمن معنى المصادر المفقودة المصادرُ المحظورة أو المحجوبة بشكل مؤقت أو دائم، مما لا يمكن للباحثين التوصل إلى الاطلاع عليه في الوقت الراهن.

**3- من حيث خط الكتابة:**

يمكننا التمييز بين نوعين: مخطوطة ومطبوعة

أ. **مصادر مخطوطة:** تزخر الخزائن والمكتبات العامة والخاصة عبر العالم برصيد ثري من الكتب المخطوطة، وهي متفاوتة الأهمية في نفاستها وصلتها بتاريخ الغرب الإسلامي. وبالرغم من جهود التحقيق التي استهدفت إخراج كثير من المصادر القيمة، إلا أن الكثير -أيضا- لا يزال يقبع في مجاهل النسيان، وفي تلافيف المجاميع غير المفهرسة، ولا شك أن الباحث إنْ هو ظفِر بما هو جدير من هذه المصادر المخطوطة، فسيكون قد ظفر بإضافة علمية لها قدْرها.

ب. **مصادر مطبوعة:** منذ اختراع المطبعة، والانتقال من حروف خط اليد إلى حروف خط الطباعة، عرف العالم ثورة حقيقية في نشر الكتب وذيوعها، بيد أن الباحث في تاريخ الغرب الإسلامي عليه أن يميّز بين الكتاب المطبوع تحقيقا، بما يقتضيه فن التحقيق من شروط ومواصفات، وبين الكتاب المطبوع نشرا فحسب، كما يتعيّن عليه التمييز بين التحقيق الجيد الذي يقوم عليه الأمناء

المحترفون، والتحقيق الرديء الذي يمارسه الأدعياء المتطفلون، فإن لم يحظ الباحث بمصدر محقق على أصوله، فالنسخة المخطوطة أولى بالاعتماد.

**4- من حيث صلتها بحقل التاريخ:**

يمكننا التمييز بين نوعين: مباشرة وغير مباشرة

أ. **مصادر تاريخية مباشرة:** من المتعارف عليه لدى الباحثين أن ثمة مصادر تاريخية مألوفة أو أساسية، بالنظر إلى طبيعة مادتها التي لا تنفك عن إيراد الوقائع والأحداث، لكن ما ينِدّ عن انتباه الكثير منهم أن التاريخ قديما لم يكن سوى تاريخ المؤثرين أي صانعي الأحداث، لذلك فقد استأثرت كتب الحوليات وكتب التراجم بمسمى كتب التاريخ، ولعله من الإنصاف ألاّ نحاكم مؤرخي تلك العصور إلى مفهومنا المستجد للتاريخ.

ب. **مصادر تاريخية غير مباشرة:** إن كثيرا من الفعاليات البشرية مما ليست أحداثا أو وقائع داخل المكان والزمان، لم تكن مشمولة باعتناء مؤرخ العصر الوسيط، ولذلك ألفيناها مبثوثة في مدونات الرحالة والجغرافيين، والأدباء واللغويين، والفقهاء والمتصوفة، مما جعل هذه المدونات -التي توصف بالدفينة أو الرافدة- منْجما لمعارف ثمينة لا غنى للمؤرخين المعاصرين عنها، وخاصة في ظل تطوّر التاريخ من الاعتناء بالحدث إلى الاحتفاء بالبِنية.

**5- من حيث درجة أهميتها:**

يمكننا التمييز بين نوعين: أصلية وتبعية

أ. **مصادر أصلية:** تتأكد أصالة المصادر، كلما حققت معنى المصدرية؛ أي السبق والأوّليّة في الإدلاء بالإفادة الخبرية، فإنه متى كان المصدر مواكبا زمانا أو مكانا أو هما معا للماجرَيات التاريخية، وبصرف النظر عن أمانة وصدقية صاحبه، اكتسى أكثر أهمية، وعلى ذلك، ومن حيث المبدأ، فإن المصدر المتقدم في الزمن له الأولوية عن المصدر المتأخر، والمصدر الأقرب مكانا (المغربي/الأندلسي هنا) له الأولوية عن المصدر الأبعد (المشرقي هنا).

ب. **مصادر تبعية:** لا يفقد المصدر التبعي -وهو المتأخر زمانا أو الأبعد مكانا- كل أهمية، ففضلا عن كون إفاداته تأتي عاضدة لإفادات المصدر الأصلي، فإنه لطالما احتفظ بإفادات منقولة عن مصادر أصلية مفقودة، وهو من هذه الناحية يرقى لأن يكون في رتبة المصدر الأصلي، بل إن جل المصادر هي أصلية فيما واكبت وتبعية فيما لم تواكب، ولكن المصدر التبعي يتضاءل وهجه المصدري حد الانطفاء كلما ازداد بعدا عن زمن الماجريات.

**مراجع المادة:**

لا تكاد تخلو رسالة جامعية في مقدّمتها من حديث مُسهَب أو مُقتضَب عن المصادر التي استمدت منها مادتها، وقد عُني كثير من الباحثين بالكتابة عن مصادر التاريخ الإسلامي إجمالا، ومصادر تاريخ الغرب الإسلامي تخصيصا، وإن من بين أهم المؤلفات المعاصرة التي ننصح طلابنا بالرجوع إليها، واعتمادها في إثراء معلوماتهم بشأن هذا المقياس، نسوق اللائحة الموالية، والتي تضم أربعة عشر عنوانا، مرتبة تبعا لسنوات صدورها:


- علي إبراهيم حسن: استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام (1980).
- سيدة إسماعيل كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه (1983).
- محمد ماهر حمادة: دراسة وثقية للتاريخ الإسلامي ومصادره (1988).
- السيد عبد العزيز سالم: مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية (1990).
- جان سوفاجيه وكلود كاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي (1998).
- أنور محمود زناتي: مصادر تاريخ المغرب والأندلس (2008).
- عبد الواحد ذنون طه: مصادر في تاريخ المغرب والأندلس (2011).
- عبد القادر بوباية: المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس (2011).
- مجموعة باحثين: مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط (الجزائر) خلال العصر الوسيط (2014).
- محمد البركة وسعيد بنحمادة: مصادر تاريخ الغرب الإسلامي.. محاولة في التركيب والرصد (2016).
- مولود عشاق: تاريخ المغرب وإشكالية المصادر (2016).
- شوهندة الخطيب: مصادر التاريخ المحلي لبلاد المغرب خلال القرنين 08 و09هـ/14 و15م (2016).
- مجموعة باحثين: التاريخ وأدب التراجم.. مباحث في المفهوم والمنهج والقضايا (2016).
- مجموعة باحثين: مصادر تاريخ الجزائر عبر العصور (2018).